الهجرات الفينيقية إلى شمال إفريقيا: المنطلق والمستقر

عبد الله ولد أحمد الهادي
أستاذ التاريخ القديم

مقدمة

شهد العالم القديم (إفريقيا،آسيا وأوروبا) حضارات كثيرة ومتنوعة؛ تبادلت التأثر والتأثير فيما بينها، بواسطة الوسائل المتاحة في تلك العهود السحيقة قبل ميلاد المسيح عليه السلام، فهاجرت شعوبها في مختلف الاتجاهات لأسباب أمنية وسياسية واقتصادية ومن بين تلك الشعوب المهاجرة أو النازحة الفينيقيون الذين جالوا في العديد من مناطق العالم القديم وأسسوا المستوطنات والموانئ خاصة في شمال إفريقيا وفى حدود القرن الحادي عشر قبل الميلاد.

فمن هم الفينيقيون؟ ومن أين قدموا؟ وما هي العوامل التي دفعتهم إلى الهجرة خارج بلادهم؟ ولماذا كان لهم الشأن الأكبر في شمال إفريقيا فأسسوا المدن التي استطاعت تكوين إمبراطورية بحرية يهابها الأعداء ويخطب ودها الأصدقاء؟

سياق البحث وتحديد المفاهيم:

تعتبر دراسة تاريخ الفينيقيين وهجراتهم إلى شمال إفريقيا القديم أمرا صعبا ذلك أن الباحث لا يملك في هذا الشأن سوي المصادر اليونانية واللاتينية التي تحمل الكثير من التجني والتحامل.

كما أن دور علم الآثار في هذا الموضوع يظل محدودا وذلك أن الرومان ربما تعمدوا طمس معالم الفينيقيين فأقاموا المدن الكبيرة على بعض المستوطنات الفينيقية وإن كانت النقوش الجنائزية والنذرية المدونة باللغة الفينيقية تحدت الرومان ومؤامراتهم وظلت قائمة تغالب الزمن.

لذلك تباينت الآراء حول أصل الفينيقيين واستيطانهم الأول، وحول مجيئهم إلى البحر الأبيض المتوسط الشرقي. فقد ذكر (هيرودوت) أنه زار فينيقيا وعلم من سكانها أنهم من البحر الإريتيري([1])، وأنهم استقروا في البداية في شمال الحجاز ثم اتجهوا إلي فلسطين ومنها إلي لبنان وسوريا.

ويذكر (استرابون) الذي عاش في القرن الأول ق.م، أن سكان الخليج العربي يطلقون على بعض مدنهم أسماء: صور، صيدا، ويرجح وجود علاقة بينهم وبين فنيقيا([2])، وهو ما يؤكده أيضا (بليني)([3]). ويورد (جاستان) حول

---

[1] - Herodote 7IV,1.

[2] - Strabon Gegraphy 1-2-35, P 7- 2,l.

[3] - Pliny Hst. NAT. IV,36,.

الموضوع ما نصه:" ينحدر الصوريون من الفينيقيين الذين أزعجهم زلزال يوما من الأيام فهجروا موطنهم الأصلي في البحر الداخلي في سورية، وحالما استقروا على أقرب شاطئ بحر بنوا مدينة أطلقوا عليها اسم صيدا" ([1]).

يرجع أصل كلمة (Phoencia أو Phoenice) إلى الإغريق ثم الرومان، حيث أطلقوا فيما بعد على منطقة توجد في البحر الأبيض المتوسط تواجه الغرب مابين الخط الثاني والثلاثين والسادس والثلاثين، ويبدو أن الإغريق عثروا على أرض تكسوها الأشجار والنخيل لهذا السبب أطلقوا على هذه البقعة اسم: (Phoenice) أو أرض النخيل([2])، وعلى سكانها اسم: (Phoencia) الفينيقيين، وقد استعمل هذا الاسم أول الأمر بمعناه الواسع، ويقال أيضا أن هذه الكلمة اشتقت من الكلمة اليونانية (Ouvz*) التي تعني الأرجوان أو الصبغ أو اللون المشابه للون الأحمر، حيث أصبحت مرادفة لكلمة كنعاني بعد القرن 12ق.م، أي مع بداية رحلاتهم، والجدير بالملاحظة أن هذه الشهرة تعود إلى المنسوجات الفنيقية التي كانوا يتاجرون بها، وهناك أيضا دليل هيرودت حيث أن الكلمة القديمة فنيقا هي (Xvq) التي ترادف كلمة (Kinabbi) في خطابات تل العما رنة، لذلك يمكن القول أن الفنيقيين الذي سماهم اليونان بهذا الاسم هم أنفسهم الكنعوانيون.

تحديدات المجال:

ليس من السهل تحديد الموقع الجغرافي للفينيقيين على الساحل تحديدا دقيقا لاختلاف وجهات النظر بين الباحثين، وهو اختلاف يعود إلى اتساع وجود آثارهم ،وإن كانت الأغلبية تحدده في السهول الساحلية الشرقية للبحر الأبيض المتوسط، وهذه المنطقة تحدها من الشرق سلسلة جبال لبنان التي تشكل حاجزا طويلا يمتد من الشمال إلى الجنوب محاذيا للساحل. وإلى الغرب من هذا الساحل الفينيقي يوجد البحر الأبيض المتوسط وهذا الشاطئ يبلغ طوله 440كلم، أما السهل الساحلي فهو ضيق إذ تكاد الجبال أن تلامس مياه البحر في عدة أماكن ولا ينفرج هذا الساحل إلا في الشمال والجنوب وبعض الجيوب الصغيرة المتناثرة في الوسط مثل سهل عكا وسهل صيدا وصور([3]).

---

[1] -Justin. XVIII, 1-2.

[2] -J.Mazel. Avec les Phenicies, Robert Lattor Paris 1967.

*- مادة مستخرجة من قواقع ذات لون أرجواني وهي تستخرج من نوعين من القواقع هما: المورکس Morex والباکينوين Beccinn

[3]- محمد أبو المحاسن عصفور، المدن الفينيقية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1981، ص16.

ويظهر أن الموقع الجغرافي لهذه المنطقة التي تقع بين درجتي عرض 33-38 شمال خط الاستواء([1])، قد جعل مناخها معتدلا. ويتضح أن العوامل السابقة التي ميزت الساحل الفينيقي هي التي جعلت منه منطقة جذب حساسة في العالم القديم.

دوافع الهجرة الفنيقية ومساراتها:

لم ينجح الفينيقيون في تأسيس دولة مركزية موحدة ومستقلة بل إن التنظيم السياسي لديهم اتخذ شكل المدينة – الدولة ذات الاستقلال المحلي. وانتشرت مدن– دولهم على الشاطئ من أغاريت (رأس شمرا) في الشمال إلى صور في الجنوب عبر أرواد وطرابلس وجبيل حتى صيدا وصور.

وكانت المدينة- الدولة تنجح أحيانا في بسط نفوذها والاستيلاء على مدن أخرى مجاورة لها، كما فعلت مدينة أوغاريت في منتصف القرن 16ق.م، ومدينة جبيل في القرن 14 ق.م. وصيدا في القرن 12ق.م. ومن بعدها صور([2]) التي كان لموقعها الجغرافي الممتاز تأثيرا كبيرا على تاريخها الاقتصادي والسياسي، فقد كانت وما تزال منطقة عبور واتصال بين كل من مصر وبلاد الرافدين وآسيا الصغرى، أي أنها تقع في ملتقى مفترق أهم الطرق التجارية في عالم الشرق القديم لذا كان التنافس على أشده بين الإمبراطوريات الكبيرة التي قامت في كل من مصر وبلاد الرافدين وآسيا الصغرى([3]) بغية السيطرة على سوريا الكبرى التي يقع الساحل الفينيقي ضمنها، وكان على الدويلات الكنعانية أن تتحرك في هذا الوسط المتناقض مع محاولة المحافظة على وجودها ولو أدى ذلك إلى التبعية لهذه الدولة أو تلك تمشيا مع ظروفها. وكانت هجرة الشعوب المتلاحقة وما تبعها من غزوات وحروب وما أحدثته من انقلاب في موازين القوي السياسية من أهم الأسباب التي دفعت الفينيقيين إلى الهجرة، وقد أدى كل ذلك إلى إحداث تحولات ديمغرافية كبيرة في منطقة بلاد الشام وما جاورها كان طابعها العام انعدام الاستقرار، وتتضح أسباب هذه الهجرة وضوحا تاما بالنظر إلى عاملين اثنين:

أ – العامل اقتصادي:

يتميز الساحل الفينيقي بقلة مساحته الصالحة للزراعة الأمر الذي دفع السكان إلى ضرورة الاعتماد على التجارة بدلا من الزراعة، وقد ساعدهم على ذلك

---

[1]- أندري إيمان، تاريخ الحضارات العام، روما وإمبراطوريتها، ترجمة فريد وفؤاد أبو ريحان، المجلد الأول، ط1/ منشورات عويدات، بيروت، 1964، ص 256.

[2] - فيليب حتى، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ترجمة جورج حداد وعبد الكريم رافق، الجزء الأول، درا الثقافة، بيروت، 1958، ص 88.

[3]- فيليب حتى، موجز تاريخ الشرق الأدنى، ترجمة أنيس فريحة، دار الطباعة، بيروت، ص77 .

موقع مدنهم القائمة على رؤوس موغلة داخل البحر وعلى جزر متقطعة بالقرب من البحر([1]).

لم يكن الفينيقيون مهتمين بالسياسة وإنما اقتصر اهتمامهم على الصناعة والتجارة، ومن ثم سعوا إلى البحث عن أسواق لبيع منتوجاتهم ولذلك أصبحت شهرتهم ذائعة الصيت في الأسواق التي يحلون فيها بفضل تنوع صناعاتهم ومنتوجاتهم مثل الخشب والفضة والنحاس والأواني الفضية والمطعمة بالذهب([2]) والأقمشة المصبوغة باللون الأرجواني، وقد ازدهرت هذه الصناعات عندهم بين القرون 12- 8 ق.م. وإذا كان ذلك قد أدى إلى تنشيط التجارة فإنه دفعهم أيضا إلى البحث عن المواد الخام، فقد كانوا يأتون بالحديد والفضة والنحاس من (ترشيش Tartessus) في أسبانيا والعاج والجلود والعبيد والذهب من إفريقيا([3]).

ويتضح أن جودة البضائع الفينيقية ونوعيتها وطريقة بيعها– التي كانت تتم بالمقايضة، وحاجة الشعوب الأخرى إليها – سهلت مهمة الفينيقيين في إنشاء مراكز ومحطات في أماكن مختلة.

ب – العامل السياسي:

لقد كان الوضع السياسي للفينيقيين أثناء الربع الأخير من الألفية الثانية وضعا مضطربا ليس فقط من ناحية الحروب الطاحنة وإنما كذلك من الموجات البشرية المتتالية على المنطقة، فقد اشتد الصراع بين الإمبراطوريتين المصرية* و الحثية** من أجل السيطرة على المنطقة، وبدأ الحثيون يهاجمون شمال سوريا، ليجدوا أنفسهم أمام النفوذ المصري، لذلك كان لا بد من حسم الموقف لتحديد التبعية، وقد تم ذلك إثر معركة قادش، وتوقيع معاهدة صداقة

---

[1] - رشيد الناضوري، المغرب الكبير، العصور القديمة، الجزء الأول، دار النهضة العربية والطباعة، بيروت 1981، ص154- 155.

[2] - ماركو غلين " الكنعانيون أمة من الحرفيين" ترجمة مريم سلامة، مجلة آثار العرب، العدد الرابع، مصلحة الآثار، طرابلس، 1992، ص26.

[3]- فيليب حتى، موجز تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص22.

* - مصر القديمة: يعتبر الكاهن المصري مانتون الذي عاش في فترة حكم بطليموس الثاني حوالي 280 ق.م. هو أول من قسم التاريخ المصري القديم إلى أسر ملكية طبقا للعائلات والحكام الذين تداولوا على العرش ابتداء من مينيا 3200ق.م حتى الاسكندر الأكبر وتقدر الأسر ب 32 أسرة ،أما التقسيم الشائع لتاريخ مصر القديم فينقسم إلى ثلاث مراحل: الدولة القديمة، الوسطى، والحديثة، وكل واحدة من هذه الدول تضم عصرا من عصور الازدهار، وتقع بينهما عصور من الانحطاط .

**- الحثيون: هم عبارة عن مجموعة من الشعوب المختلفة أطلق عليها كلمة الحثيين واستطاعت أن تكون إمبراطورية قوية تضم كل بلاد الأناضول وجزء من شمال العراق وسوريا، ومن أشهر ملوكها شيلوشليوما(1380 – 1355ق.م).

وحسن جوار، وقد عرفت الاتفاقية تاريخيا باسم (اتفاقية قادش) التي تعد أول اتفاقية دبلوماسية مدونة إلى حد الآن.
وبموجب هذه الاتفاقية يصبح شمال سوريا تابعا للملكة الحثية، ويظل جنوبها بما في ذلك فلسطين والشاطئ الفنيقي جزء من المملكة المصرية([1]).
وقد جاءت موجات بشرية هائلة قادمة من الشرق متجهة نحو الغرب أصبحت تعرف بالهجرات (الهندوأوربية)*، حيث بدأت هذه الشعوب الجديدة تكتسب السيادة السياسية على حساب السكان القدماء، ولهذا كانت منطقة الساحل الفنيقي أكثر تضررا لعدم تمتعها بالوحدة السياسية مما حتم على سكانها (الفنيقيين) ضرورة البحث عن وطن جديد.
ويمكن فضلا عما سبق الإشارة هنا إلى روح المغامرة لدى الفينيقيين الأوائل بارتيادهم الأماكن المجهولة، فقد أكد (سالوست) على هذه النقطة حين قال:"... والبعض الآخر كان مدفوعا بروح التضحية، نظموا أنفسهم وجمعوا الناس المتشوقين إلى المغامرات وجاءوا إلى سواحل إفريقيا..."([2]).
ونظرا لتعاظم قوة الدولة الآشورية** وهجماتها المتلاحقة على المنطقة، بدأ الفينيقيون يبحثون عن أوطان جديدة وقد ساعدهم على ذلك أفول الحضارتين الموكينية والمصرية والفراغ الكبير الذي تركتاه على مستوى شرق المتوسط، فاستغل الفينيقيون ذلك بهدوء شديد وبدأت موانئ صور وصيدا إرسال السفن إلى مناطق بعيدة إلى كل من المحيط الأطلسي والهندي بحثا عن أسواق جديدة لتسويق منتجاتهم ([3])، وكذلك للبحث عن المواد الأولية الضرورية لصناعتهم.

بداية علاقة الفينيقيين بغرب البحر الأبيض المتوسط:

اتجه الفينيقيون المهاجرون الأوائل نحو الساحل الإفريقي الغربي يبحثون عن أماكن ترسو عليها سفنهم وينزلون فيها بضائعهم، حتى يتمكنوا من تحقيق أغراضهم الاقتصادية، ويبدو أن انعدام المصادر عن هذه الفترة ساهم في عدم التعرف على كيفية حدوث العمليات الأولى لتأسيس هذه المستوطنات، ويمكن الإشارة إلى أن هذه العمليات لم تكن صعبة من ناحية مواجهة السكان المحليين

---

[1] - فليب حتى، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ص107.

* - الشعوب الهندو أوربية: هم مجموعة من الشعوب هاجرت من أواسط آسيا أطلق عليها الباحثون في العصر الحديث الشعوب الهندو أوربية، ولم يفد هؤلاء كمحاربين ،إنما جاؤوا مهاجرين ومعهم نساءهم وأطفالهم، وهو ينتمون إلى أعراق مختلفة، فقد بدأت علاقتهم بالمنطقة حوالي 2000ق.م.

[2] - Salluste, Catalina Guerred Jugyrtha, Tran par Alfred, Ernout, and5 Paris1962

** - الدولة الآشورية: نزل الآشوريون سهول الموصل منذ الألف الرابع أو الثالث ق.م. وهم منسوبون إلى منطقة آشور وقد قسمت دولتهم إلى ثلاث مراحل: الدولة القديمة والوسطى(1595-911 ق.م.) ،والدولة الحديثة (911-612 ق.م).

[3]- بيتر شايكاي، الفينقيون تجار الشرق ، ترجمة مريم سلامة، مجلة آثار العرب، مصلحة الآثار، طرابلس، العدد 3، سنة 1991، ص22.

للفينيقيين، لأنهم كانوا يدركون أن غاية الفينيقيين هي التجارة وتبادل البضائع، ويبدو أن استخدام السفن لم يتطلب من الفينيقيين ضرورة توفير الموانئ التي ترسو فيها واختيار الأرض المناسبة، ويحتمل أنهم أعدوا لذلك إعدادا جديدا من خلال الرحلات المتتالية بدليل اختيارهم للأماكن الجيدة من لبدة الكبرى وحتى مدينة لكسوس، وما كان ليتم ذلك عن طريق الصدفة، حيث كان الفينيقيون يقومون بإيصال الجزر القريبة بالشواطئ ويقيمون الأرصفة والمخازن وكافة احتياجات الموانئ، ويبدو من الحفريات الأثرية أن الرحلات الأولى للفينيقيين كان هدفها أقصى الغرب قبل إقامتها في المواقع المتوسطية لحوض البحر الأبيض المتوسط، وذلك من أجل الحصول على المواد الخام، وأهم ما يمز هذه المرحلة هو التنافس بين الفينيقيين والإغريق للحصول على الثروة الاقتصادية([1])، ويغلب على هذا التنافس الطابع السلمي([2])، إذا ما استثنينا عمليات القرصنة التي كانت تقوم بها بعض الجماعات من الجانبين بحثا عن الثروة بطريقة غير مشروعة، والدليل على ذلك هو التعاون فيما بينهم، الذي يبدو أنه لم يقتصر على الجانب التجاري فحسب وإنما تجاوزه إلى الجانب الفكري ، حيث استطاع الفينيقيون أن يمدوا منافسيهم بما أصبح يعرف بالأبجدية الفينيقية مما كان له أثره البالغ على الحاضرة الإغريقية*.

مستقرات الهجرة الفينيقية إلى شمال إفريقيا:

إن المقصود بالشمال الإفريقي المنطقة الممتدة جغرافيا من مضيق جبل طارق والأطلسي الداخلي بالمغرب الأقصى جنوبا حتى حدود ليبيا مع مصر، وقد أعطيت أسماء مختلفة** لمنطقة الشمال الإفريقي أقدمها اسم ليبيا نسبة إلى قبيلة (الليبو) المشهورة، ومهما يكن من شيء فإن الأسباب التي حالت دون ظهور قوة سياسية في المنطقة تقف في وجه الفينيقيين على غرار القوة التي ظهرت في المشرق خاصة في مصر وآسيا الغربية وبلاد الرافدين([3])، تعود

---

[1] - رشيد الناضوري، مرجع سابق، ص66.

[2] - أندري إيمان، وجانين أبوابة، تاريخ الحضارة العام، روما وإمبراطوريتها، ترجمة يوسف اسعد وآخرين، 1994، ص42.

* - كان الإغريق يكتبون بالكتابة الخطية قبل الغزو الدوري لبلادهم سنة1100 ق.م. ومنذ هذه الفترة حتى 800 ق.م. تقريبا أخذوا الأبجدية الفينيقية وذلك بفضل الانتشار الواسع للفينيقيين في الحوض المتوسط وانتقلت هذه الأبجدية (29 حرفا) إلى الإغريق فاستطاع الإغريق تطويرها ونشرها في أنحاء أوربا.

**- كان الإغريق يطلقون اسم ليبيا على كل ما هو معروف من قارة إفريقيا آنذاك وظل هذا الاسم حتى ق2 ق.م،حيث بدأ اسم إفريقيا في الظهور مع سيطرة الرومان على المنطقة خاصة بعد تدمير قرطاجة 146ق.م. فسموا ما استولوا عليه بولاية إفريقيا وهو مشتق من اسم أحدى القبائل المحلية وبذلك اقتصر اسم ليبيا على ليبيا اليوم.

[3] - Salluste, Gsell, Histoire de L'Afrique du Nord, I,II, Alger 1913-- P13.

إلى أن منطقة الشمال الإفريقي بقيت تعيش لفترة طويلة في عصور ما قبل التاريخ، ولم تدخل في العصور التاريخية إلا في وقت متأخر مع الوافدين الجدد من الفينيقيين والإغريق، حيث بدأ سكان المنطقة يتأثرون بالوافدين الجدد نتيجة الاحتكاك والاتصال المباشر، و بدأوا يخرجون تدريجيا من ثقافة العصر الحجري الحديث (النيو– لوتي)* فقبل هذه المرحلة يبدو أن سكان المنطقة لم يكونوا مهيئين سواء أكان ذلك من الناحية الاجتماعية أو السياسة، فالممالك والدول بالمعنى الحقيقي لم تظهر إلا في نهاية القرن الثالث قبل الميلاد، والنظام الاجتماعي الذي كان سائدا في المغرب غداة مجيء الفينيقيين هو نظام قبلي يعتمد على الروابط العرقية أكثر من اعتماده على الروابط الاجتماعية الأخرى، ويحتمل انه في بعض الحالات خصوصا في أوقات الحروب كان يحدث اتحاد أو تحالف يضم مجموعة من القبائل المتجاورة لصد المغيرين القادمين من المناطق الأخرى عن المنقطة التي تقطنها تلك القبائل وتعتبرها منطقة خاصة بها.

ويحتمل أيضا أن يكون الاتحاد قسريا حين تفرض إحدى القبائل القوية هيمنتها على القبائل الأخرى الضعيفة ([1])، إلا أن تلك الاتحادات لم تتطور وتنجح في تكوين دولة بالمعنى الحقيقي لأنها كانت تدوم لفترة مؤقتة، وسرعان ما ينفرط عقدها بزوال الخطر الخارجي أو ضعف القبيلة المهيمنة.

أما المملكة الليبية** (المغربية) التي تحدثت عنها بعض المصادر([2]) وذكرت أنها كانت موجودة غداة تأسيس مدينة قرطاجة، فيبدو أن المعلومات عنها شحيحة جدا وفي غاية الغموض، ويحتمل أنها لم تكن مملكة بالمعنى الحقيقي وإنما كانت قبيلة تسكن المنقطة المجاورة لقرطاجة كما ورد معنا سالفا . ولم تكن المنطقة من الناحية الاقتصادية مستقلة استقلالا تاما سواء كان ذلك من

---

* - يعتبر هذا العصر هو آخر عصور ما قبل التاريخ يبدأ حوالي 7000ق.م. إلى 3000ق.م. وقد اشتق اسمه من اللغة الإغريقية نيو بمعنى حديث، وليتيك بمعنى حجري، وقد امتاز هذا العصر بعنصرين أساسيين لا نجدهما في العصور الحجرية السابقة للعصر الحجري الحديث، والعنصران هما زراعة المحاصيل واستئناس الحيوان ويعرفان معا بإنتاج الطعام لأن الإنسان قد تمكن من السيطرة على موارده الطبيعية وأصبح منتجا لها بعد أن كان يعتمد على المواد الخام من الخيرات التي كانت تجود بها الطبيعة، وقد حدث عدد من التحولات في هذا العصر نتيجة لمعرفة الإنسان لإنتاج الطعام وهذه التحولات تتمثل في الآتي:

أ – الاستقرار وبناء المدن.

ب – إقامة المنشآت الفكرية والمعمارية كالمعابد والمنازل والأضرحة.

ج – اختراع الفخار لأول مرة والتمكن في وقت لاحق من هذا العصر من اكتشاف المعادن.

[1] - J.Heurgn. Rome et la : Mediterran Occidental ; Pris 1967 P13.

** - المملكة الليبية: يتحدث بعض المؤرخين عن مملكة كانت موجودة في ليبيا غداة مجيء الفينقيين إلى المنطقة، إلا أنها أقرب إلى الأسطورة منها إلى الواقع التاريخي.

[2] - Andre. Picniol la Conquete Romanie, Paris 1976 P4.

الناحية الزراعية أم من ناحية استخراج المعادن. ويعود ذلك إلى التأخر الحضاري الذي كانت المنطقة تعاني منه، فعلى الرغم من أن الزراعة كانت منتشرة منذ العصر الحجري الحديث إلا أنها لم تصل من حيث وسائل الإنتاج للمستوى الذي كانت عليه في الحوض الشرقي للمتوسط، لكن مع الوافدين الجدد انتشرت بالمنطقة البساتين وتنوعت المنتوجات وذلك بفضل خصوبة التربة، ورغم ذلك بقيت المنطقة متأخرة في المجال الصناعي، كل هذه العوامل جذبت سكان الحوض الشرقي الذين كانوا متقدمين في المجال الصناعي، ويمكن القول أخيرا أن المنطقة كانت مهيأة سياسيا واقتصاديا لاستقبال الوافدين الجدد سواء كانوا فينيقيين أم إغريق.

المستوطنات الفنيقية في شمال إفريقيا:

مدينة لكسوس: على الهضبة الشرقية لنهر لكسوس وفوق ربوة عالية تقع مدينة لكسوس التي كانت تعرف ب: (ياقوس مسيس) أي (مدينة الشمس)، ويرى كل من (إسترابون) و (بلين) أن المدينة تأسست في القرن 11ق.م من طرف الفينيقيين، ويتبين من خلال الأبحاث الأثرية أن هذه المدينة كانت تحظى بأهمية كبيرة باعتبارها قاعدة تجارية فينيقية وقد جعلت منها الدولة القرطاجية فيما بعد ميناء محميا ومدينة محصنة نظرا لموقعها الجغرافي المهم، وإذا كان تاريخ إنشاء هذه المدينة غير محدد فإنه من المؤكد أنها من المستوطنات الأولى للفينيقيين في الشمال الإفريقي([1]).

مدينة وليلي: تقع على هضبة بالقرب من مدينة إدريس رزهون الحالية، وتعد من أهم المدن الأثرية المغربية التي ترجع إلى العهد الفينيقي، وتوضح الأبحاث الأثرية أنها تأسست منذ القرن 3ق.م من طرف الفينيقيين.

مدينة بانسة: تقع أطلال هذه المدينة بالقرب من الطريق التي تربط سوق الثلاثاء بمشروع بالقصير، ولم تعرف المدينة الفينيقية بهذا الاسم إلا في العهد الروماني واختفى بذلك اسمها الحقيقي، ومن خلال الحفريات بات من المؤكد أن إنشاءها يعود إلى القرن الثالث ق.م([2]).

مدينة سلا: تقع مدينة سلا الأثرية بالقرب من وادي أبي رقراق، وتتميز هذه المدينة بالموقع الجيد الذي يشبه موقع مدينة لكسوس وقد تأكد من خلال الحفريات أن تاريخ إنشائها يرجع إلى القرن 7 ق.م.

مدينة تنجي: تقع أطلال هذه المدينة تحت مدينة طنجة الحالية، مما عرقل الحفريات، وتؤكد المصادر على أهميتها المتأتية من موقعها الاستراتيجي.

---

[1]- أحمد المكناسي، مدينة لكسوس الأثرية، تطوان، دار كريمادين،1961، ص22.

[2] - عبد العزيز بلعيد، مظاهر الحضارة المغربية، مطبعة الدار البيضاء،1917، ص5.

مدينة زيليس: لا نعرف عن هذه المدينة سوى أنها ترجع إلى العهد القرطاجي، وتقع تحت أنقاض مدينة أصيلا الحالية، مما يحول دون القيام بعمليات التنقيب([1]).

ويبدو أن البحث عن المدن الفينيقية في الجزائر ليس سهلا نظرا لقلة الحفريات، لذلك فإن المعلومات في هذا الإطار لا تتعدى ذكر أسماء المدن فقط ومن أهمها: هينوكترا، وبيزرتا، بونة، فيليفيلي، وتيباستا، يول، جنونوجو، وجرس مداح، وكيوتا، وهي مدينة قسنطينة الحالية التي من المحتمل أنها تعود إلى القرن الثالث قبل الميلاد، ويكوزيوم وهي مدينة الجزائر العاصمة التي لا يعرف عنها إلا القليل.

وتوجد في تونس عدة مدن أهمها:

أوتيكا: مدينة في وسط تونس، ويعد موقعها من أجود المواقع الزراعية، وهي من المستوطنات الفنيقية الأولى تعود إلى 1101 ق.م. وقد كان الغرض من إنشائها غرضا اقتصاديا، ويرجح أنها قامت بدور كبير في ربط الصلات التجارية بين المنطقة والمدن الأم(صور،صيدا)، خاصة قبل ظهور قرطاجة([2]).

كاركوان: مدينة فينيقية تعود إلى القرن الرابع قبل الميلاد.

هادروسيتم: مدينة سوسة الحالية، وقد كانت تحظى بأهمية كبيرة ويرجع تأسيسها إلى القرن السابع قبل الميلاد.

المهدية: لا يعرف اسمها القديم، وتوحي آثارها أنها تعود إلى القرن الخامس قبل الميلاد، وفيها أكبر مقبرة بونية في المنطقة بعد قرطاجة.

تابسوس: وتقع في رأس ديماسة، تبين من خلال الحفريات أن تاريخ إنشائها يعود إلى القرن الرابع ق.م. ويحتمل أن الغرض من إنشائها استراتيجي بالدرجة الأولى([3]).

أخولا: لا يعرف عن هذه المدينة سوى أنها أنشئت من قبل مهاجرين قادمين من مالطا وكانت تحظى بأهمية كبيرة في العهد البونيقي.

قرطاجة: لم يحظ تاريخ تأسيس قرطاجة المألوف 814-813 ق.م. الذي أوردته المصادر الإغريقية والرومانية بتأييد جميع المعاصرين، لكونه موضوع جدال متشعب بين مؤيدين ورافضين منذ القرن 19 تقريبا،ويتمثل ذلك خاصة في التناقض بين المعلومات المأخوذة من المصادر الأدبية وبين المعطيات الأثرية، فإذا كانت أهم النصوص تدعي أن قرطاجة تأسست في أواخر القرن التاسع

---

[1] - نورد الدين حاطوم، موجز تاريخ الحضارة، مطبعة الكمال، الدار البيضاء، 1965، ص35.

[2] - محمد أبو المحاسن عصفور، مرجع سابق، ص68.

[3] - المرجع السابق، ص69

ق.م([1]) فإن أقدم اللقى التي تم العثور عليها قبل سنة1987 تعود إلى الربع الأخير من القرن الثامن ق.م اومنتصفه حسب رأي معظم المتخصصين في علم الفخار([2]). فنتج عن ذلك ظهور نظريتين متناقضتين بصفة عامة، تعتقد إحداهما في الشهادات الأدبية بينما لا تعتبر الأخرى إلا المعطيات الأثرية وتقترح إنزال تاريخ تأسيس قرطاجة إلى ما تمليه آثار الموقع.

وإذا تجاوزنا الأراضي التونسية متجهين نحو الشرق إلى ما أصبح يعرف الآن بليبيا فإن من أهم المدن الفنيقية:

صبراته: إحدى المدن الثلاث الكبرى التي أسسها التجار الفينيقيون القادمون من مدينة صور([3])، وقد جعل منها موقعها الجغرافي مدينة ذات أهمية كبيرة فهي أقرب محطة بحرية وبرية إلى قرطاج (العاصمة)، وهذه الأهمية الإستراتيجية التجارية جعلت منها نقطة ارتكاز سياسية للفينيقيين يتناسب حجمها مع حجم الأهمية التي تحتلها المدينة على المستوى التجاري، فقد كانت المحطة الأخيرة للقوافل التجارية القادمة من الصحراء([4]).

مدينة أويا: Oea: إحدى المدن الثلاث التي أسسها تجار فينيقيون قادمون من صقلية بالاشتراك مع الليبيين([5]). هذا وقد جاءت في النقود البونيقية باسم أويات (Ciat)، ونظرا لموقع المدينة الجديدة (طرابلس) يتعذر القيام بالحفريات فيها.

لبدة الكبرى: إحدى المدن التاريخية الثلاث المشهورة، ارتبط اسمها بمؤسسيها الفينيقيين الذين جاءوا إليها من موطنهم الأصلي الساحل الفينيقي خلال الألف الأول ق.م.([6])، وقد ورد هذا الاسم في المصادر الكلاسيكية أحيانا باسم (لبتس ماغنا) (Leptis Maganan)، وأحيانا باسم (لبسيس ماغنا)(Lepicis Megana) ([7])، وقد عرفت المدينة بلبدة الكبرى تمييزا لها عن مدينة أخرى تقع في الأراضي التونسية عرفت باسم لبدة الصغرى([8]).

وخلاصة القول إن هجرات الفينيقيين إلى شمال إفريقيا مثلت تحولا كبيرا في تاريخ الفينيقيين، وتاريخ منطقة شمال إفريقيا على حد سواء حيث فسح المجال أمامها للانتقال إلى عصر جديد في تاريخها وفي رسم معالم وملامح المجتمع

---

[1] - لبدة الكبرى، نشرة أثرية، سبق ذكرها، ص15-16.

[2] - P.Demargne, la Cenamique punique dans Rev.Ar.1951 Pris. P.44-53.

[3] - رجب عبد الحميد الأثرم، محاضرات في تاريخ ليبيا، دار أماني، 1989، ص126.

[4] - نجم الدين الكبير، صبراته في فلك التاريخ، منشورات الشركة العامة للنشر طرابلس، ط1، 1975، ص23.

[5] - عبد الحميد الأثرم، مرجع سابق، ص196.

[6] - لبدة الكبرى، نشرة أثرية لمصلحة الآثار، ط2، (د.ت) ص13.

[7] - ليبيا في التاريخ، مرجع سابق، ص127.

[8] - لبدة الكبرى، نشرة أثرية، سبق ذكرها، ص13.

والثقافة فيها. وما زالت الشواهد التاريخية اليوم في المدن الأثرية القديمة شاهدة على عظمة الاحتكاك والتفاعل الحضاري من خلال المعالم المعمارية والإسهام الفكري في عموم المنطقة

وإن كانت الحاجة ما تزال ماسة إلى تنشيط البحث الأثري لإزالة الغموض عن العديد من عناصره.

مصادر البحث ومراجعه

المصادر

- Salluste, Catalina Guerred Jugyrtha, Tran par Alfred, Ernout, and5 Paris.
- Herodote 7IV,1 ,l.c.l .
- Strabon Gegraphy 1-2-35, P 7- 2,l.c.l.
- Pliny Hst. NAT. IV,36,l.c.l.
- Justin. XVIII, 1-2,l.c.l.

المراجع:

- أحمد المكناسي، مدينة لكسوس الأثرية، تطوان، داركريمادين، 1961
- أندري إيمان، تاريخ الحضارات العام، روما وإمبراطوريتها، ترجمة فريد وفؤاد أبو ريحان، المجلد الأول، بيروت 1964
- بيتر شايكاي، الفينيقيون تجار الشرق ، ترجمة مريم سلامة- بيروت 1964
- فيليب حتى، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ترجمة جورج حداد وعبد الكريم رافق.
- محمد أبو المحاسن عصفور، المدن الفينيقية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت. 1961
- أبو حامد محمد صديق،ليبيا في التاريخ، طرابلس 1968
- محمد أبو المحاسن عصفور، المدن الفينيقية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت.
- فيليب حتى، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ترجمة جورج حداد وعبد الكريم رافق.
- رشيد الناضوري، المغرب الكبير، العصور القديمة. دار النهضة العربية 1981
- رجب عبد الحميد الأثرم، محاضرات في تاريخ ليبيا، دار أماني 1989.
- ماركو غلين " الكنعانيون أمة من الحرفيين" ترجمة مريم سلامة.. طرابلس 1968
- عبد العزيز بلعيد، مظاهر الحضارة المغربية. الدار البيضاء 1985
- نور الدين حاطوم، موجز تاريخ الحضارة. الدار البيضاء 1965

- نجم الدين الكبير، صبراته في فلك التاريخ. طرابلس 1963
-
- J.Heurgn. Rome et la Mediterran Occidental ; Pris 1967.
- Andre. Picniol la Conquete Romanie, Paris 1976 P.Demargne.
- la Céramique punique dans Rev.Ar.1951 Pris. P.44-53.
- J.Mazel. avec les Phenicies, Robert Lattor Paris 1967.